

إذ بإمكان الغراب أن ينقض على الجرذ ويفترسه. تحسباً لمثل هذا الأمر، أعد الجرذ مائة جحر، فإذا عزم عدوه على الكمون له فإنه لا يدري في أي جحر هو، وإذا فاجأه عدوه خارج الجحر فإن فرصة نجاته بالدخول تحت الأرض مضروبة بمائة.

بهذا الاحتياط، صار الجرذ قوياً لأن بإمكانه الإفلات بسهولة كبيرة من كل من يعن له أن يسطو عليه. ومع كل هذا التحرز، وبعد ترددٍ طويل، قبل أن يصادق الغراب ويخرج إليه. وإن ما طمأنه هو أن الغراب أورد حجة دامغة لا يمكن ردها، وهي أنه لم ينقض عليه عندما كان يقطع حبال الحمامة. هذه الحجة أقنعت الجرذ وحملته على الاعتقاد أن الغراب لا يريد به شراً.

أثناء التخاطب تتبارز خطتان. الخطبة الأولى تهدف إلى المكر والخديعة، لأن المتكلم «ذو وجهين ولسانين» وليس شيء أشبه منه بالحية لأن الحية ذات لسانين»<sup>(16)</sup> أما الخطبة الثانية فإنها تهدف إلى اختراق المظاهر الكاذبة وإحباط الخديعة. ذلك أن «العاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره وإشارته بيده لكي يعلم سر نفسه وما يُضمره في قلبه»<sup>(17)</sup> فالكلام قد يفضح صاحبه حتى وإن اجتهد في إخفاء ما يجيش في صدره. فكان السذي يحمل سرّاً لا يقوى على المثابرة في كتمانها فيسعى بصفة شعورية أو لا شعورية إلى إشاعته. وهكذا «فإن ذا العقل لا يخفي فضله وإن هو خفي ذلك جهده، كالمسك الذي يكتّم ويختّم ثم لا يمنع ذلك ريحة من الفيوح وعبيرة من الأنتشار»<sup>(18)</sup> وما دام الكلام يخفي ويعلن، يحجب ويكشف، فإنه جوهرياً وبالضرورة ملتبس مبهم، ومبني على تناقضٍ أساسي.

يتجلى هذا التناقض في الوظيفة المزدوجة للسرد. فالسرد كما رأينا وسيلة لإيصال الحكمة إلى السخفاء، ولكنه أيضاً وسيلة لحجب الحكمة عنهم وجعلها بعيداً

(16) ابن المقفع، ص. 111.

(17) ابن المقفع، ص. 26.

(18) ابن المقفع، ص. 146.